دوافع الإرهاب 2
فبراير 2023

التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب
ISLAMIC MILITARY COUNTER TERRORISM COALITION

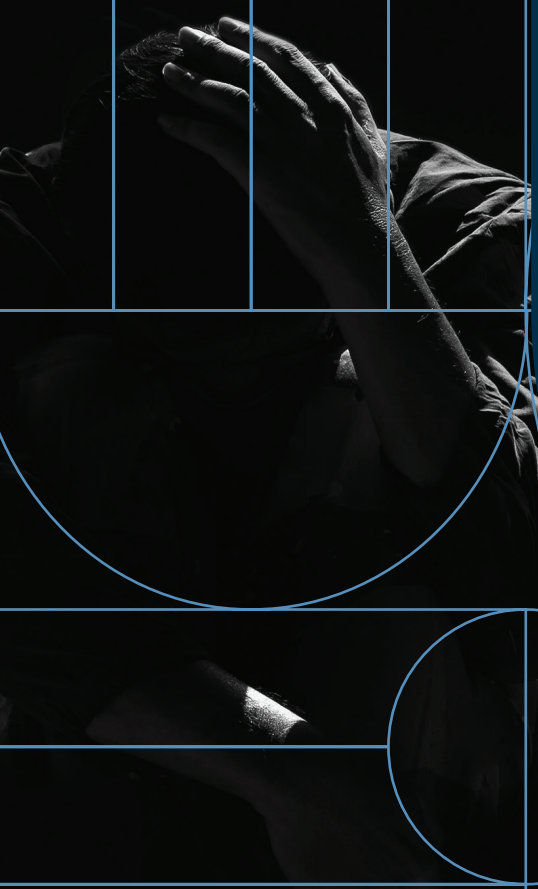

خطاب الكراهية ومحفزات العنف والتطرف

الأستاذ/ بدر بن سليمان العامر

دوافع الإرهاب

إصدار شهري يصدر عن التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب

المشرف العام

اللواء الطيار الركن محمد بن سعيد المغيدي

الأمين العام للتحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب / المكلّف

رئيس التحرير

عاشور بن إبراهيم الجهني

مدير إدارة الدراسات والبحوث

ملاحظة: الأفكار الواردة في هذه الدراسة تعبِّر عن رأي الكاتب ولا تعبِّر عن رأي التحالف بالضرورة

خطاب الكراهية
ومحفزات العنف والتطرف

الأستاذ/ بدر سليمان العامر

يمثل الخطاب الوسيلة التواصلية التي تحدث بين المرسل والمتلقي في الفضاء الاجتماعي والسياسي والثقافي، وتحمل في طياتها مضامين متنوعة إيجابية وسلبية وكما أن الخطاب له فوائد عظيمة في ترسيخ قيم التعايش والمحبة والسلام، فإنه قد يتحول في أحيان كثيرة إلى قوة تدميرية هائلة لما يحمله الخطاب والكلام من محفز كبير وإرهاص ابتدائي يتسبب في نشوب نزاعات ومشكلات كبيرة، وقد قالت العرب قديماً:

فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب مبدؤها كلام.

وقد ذُكر الخطاب في القرآن الكريم في معرض بيان إدراك الأمر بالوسائل البلاغية الخفية التي عميت على نبي من أنبياء الله تعالى فقال الله تعالى: (إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) (سورة ص: الآية 23). حيث يحيل الخطاب الحق باطلاً، والظلم عدلاً، ولذا حذر النبي عليه السلام من استخدام الخطاب في أكل الحقوق وظلم الناس من خلال لحن القول، فقال عليه السلام: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ؛ فَأَقْضِي لَهُ بِنَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ

والكراهية أحد المفاهيم الخطيرة التي يحملها الخطاب فيلقيها على مسامع الآخرين، إذ "الكراهية خلاف الرِّضا والمحبَّة، يقال: كَرِهْتُ الشَّيء أَكْرَهُه كَرَاهَةً وكَرَاهِيةً، فهو شيءٌ كَرِيهٌ ومَكْرُوهٌ. والكُرْهُ الاسم. ويقال: بل الكُرْهُ: المشَقَّة، والكَرْهُ: أن تُكَلَّف الشَّيء فتعمله كارهًا . ويقال: مِن الكُرْه الكَرَاهِيَة والكَرَاهِيَّة وأكْرَهتُه على كذا : حملته عليه كَرْهًا"[1]

فخطاب الكراهية له حضور فاعل في التاريخ البشري، وهو أحد المؤرقات التي تشعر البشرية جمعاء بخطورته وضراوته، وبأنه من المحفزات الكبرى للصراع الحضاري، بل هو من الأدوات الفاعلة لتحشيد الناس والجيوش والمشاعر وما ينتج عنه من حروب وقلاقل وعداء يؤدي إلى البغي في الأرض بغير الحق وسفك الدماء الذي كان أول خطيئة اقترفها بنو آدم حين أهبطهم الله إلى الأرض.

1. ما هو خطاب الكراهية؟

قد يبدو الوصول إلى تعريف شامل لما يسمى "خطاب الكراهية" أمراً صعباً ومعقداً نظراً لاشتمال الظاهرة على مفاهيم متشعبة ومتعلقة بوسائل التواصل "الوسائل اللغوية، وعناصر الصوت، ولغة الجسد، والعناصر البصرية" بالإضافة إلى اختلاف هذا التعريف انطلاقاً من المؤسسة التي تحدده من جهة، والسياق الذي يقع ضمنه هذا المصطلح من جهة ثانية.

ولعلّ التّعريف اللّساني الأكثر إجمالاً، هو أنّ خطاب الكراهية ظاهرة تنطوي على تفاعل دقيق يقع بين نية التواصل والاستقبال التواصلي، يقع هذا التّفاعل على المستوى الدّلاليّ، أي بين المعنى المقصود الضّمنيّ والمعنى المدرك أو المفسر، وتأويلاته لدى المتلقي.

ونادرًا ما يتطابق المعنى الضمنيّ والمعنى المفسر، فيكونان في هذه الحالة مصدرًا لسوء فهم، ليس فقط على المستوى اللّغويّ الدّلاليّ، ولكن أيضًا على المستوى العلائقيّ. وهكذا يصبح خطاب الكراهية صفة تطلق على أيّ نصّ أو كلام أو محادثة تعبّر عن الكراهية[2].

يشعر الناس جميعاً بأن خطاب الكراهية له آثار سيئة دون أن يقدموا له تعريفاً مانعاً جامعاً مع يقينهم بأنه يهدد السلم الدولي، والتماسك الاجتماعي، وغياب التسامح والوئام في أي أمة، أو دولة، أو عالم يسيطر عليه خطاب الكراهية، وذلك لأن خطاب الكراهية دائماً ما يحصل حوله الجدل لبيان الخطوط الفاصلة بينه وبين حرية التعبير الذي يُدخل أحقية البوح عن المشاعر الداخلية تجاه المواقف والأشخاص والدول، ولذلك تداعت الدول إلى الحرص على تقديم تعريف لخطاب الكراهية وضُمن تعريف خطاب الكراهية في إستراتيجية الأمم المتحدة في سنة 2019م حيث عُرف بأنه: "أي نوع من التواصل، الشفهي، أو الكتابي، أو السلوكي الذي يهاجم، أو يستخدم لغة ازدرائية، أو تمييزية بالإشارة إلى شخص، أو مجموعة على أساس الهوية، وبعبارة أخرى على أساس الدين، أو الانتماء الإثني، أو الجنسية، أو العرق، أو اللون، أو الأصل، أو الجنس، أو أحد العوامل الأخرى المحددة للهوية"[3].

ولكن هذا التعريف لا يدل على أن المفهوم قد اتفق عليه وحسم الجدل حوله، فإن خطاب الكراهية يعتبر مفهوماً شائكاً وضبابياً، وذلك لأنه مفهوم واسع النطاق حيث يَسْهُل التلاعب به. ولذلك استعملت اليونسكو2015 مفاهيم ضيقة مثل "خطاب خطر"، و"خطاب خوف" للتركيز على قدرة الخطاب على التسبب في الضرر والدفع إلى نتائج عنيفة"[4].

ويمكن أن يعرف خطاب الكراهية، بأنه: (كل سلوك يحرض علناً على العنف أو الكراهية الموجهين ضد جماعة من الأشخاص أو أحد الأفراد استناداً إلى العرق، أو اللون أو الدين والنسب والأصل القومي، أو الإثني)[5]

وقد هرعت كثير من الدول إلى سن قوانين للحد من خطاب الكراهية ومواجهته بالوسائل المشروعة، ورسم البرامج التربوية والإعلامية والتوجيهية التي تسهم في مواجهة خطاب الكراهية، إدراكاً منها بعواقب شيوع هذا الخطاب في أي مجتمع والنتائج التدميرية الذي يحدثه الخطاب حين يكون سلوكاً للناس.

وقد نشأت مجموعة غير قليلة من الاتفاقيات الدولية والمؤسسات الدولية لحقوق الإنسان والتي تحرص على معالجة خطاب الكراهية والتحريض على التمييز بين الناس بمختلف الدوافع مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، واتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية في عام 1948م، وما نشأ بعد ذلك من إجراءات مثل النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية وغيرها من الاتفاقيات الدولية التي تسعى إلى الحد من خطاب الكراهية وتقليل آثاره[6].

2. القيم الإنسانية وخطاب الكراهية:

تقف القيم الإنسانية والدينية السامية في مواجهة خطاب الكراهة، لأن الإنسان المفطور على حب الخير والكمال والجمال لا تتوافق طبيعته البشرية وفطرة الله التي فطره عليها مع إشعال فتيل الكراهية بين الناس، ولذلك نجد أن الإسلام يؤكد على هذا المعنى التواصلي الراقي بأوضح عبارة وأدق إشارة لبيان حكمة الخلق والإيجاد في الحياة حيث قال تعالى: (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

عِنْـدَ اللهِ أَتْقَاكُـمْ إِنَّ اللهَ عَلِيـمٌ خَبِـيرٌ) (سورة الحجرات: الآية رقم 13). وقوله تعالى: (وَقُولُـوا لِلنَّـاسِ حُسْـنًا) (سورة البقرة: الآية 83) فالإحسـان بالقـول لـكل النـاس بمختلـف أديانهـم ومذاهبهـم وأعراقهـم مطلـب شـرعي، وخلـق عظيـم طبقـه النبـي عليـه الصـلاة والسـلام واقعاً، ولـذا قـرر قبـول كل جهد وعمـل وسـلوك يـؤدي إلـى تحقيـق العدالـة، ونصـرة الضعيـف، ورد المظالـم حتـى لـو كان ذلـك تحالفاً بـين أمـة المسـلمين وغيـر المسـلمين، ولـذا قـال عـن حلـف الفضـول: (لقـد شـهدت حلفاً في دار ابـن جدعـان مـا أحـبّ أنّ لـي بـه حمـر النّعـم، و لـو دعيـت لـه اليـوم لأجبـت)، وحلـف الفضـول هـو أحـد أحـلاف قريـش الأربعـة، شـهده النبـي صلـى اللّه عليـه وسـلم قبـل مبعثـه وكان عمـره عشـرون عامـاً، بعـد شـهر مـن انتهـاء حـرب الفجـار بـين كنانـة وقيـس وعيـلان. توافـق عليـه بنـو هاشـم وبنـو تيـم وبنـو زهـرة حيـث تعاهـدوا فيـه علـى أن: (لا يظلـم أحـد في مكـة إلا ردوا ظلامتـه)[7].

إن خطـاب الكراهيـة يتنافـى مـع قيمـة الإنسـان في الحيـاة، تلـك القيمـة التـي كرمـه اللّه بهـا (وَلَقَـدْ كَرَّمْنَـا بَـنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُـمْ فِي الْـبَرِّ وَالْبَحْـرِ وَرَزَقْنَاهُـم مِّـنَ الطَّيِّبَـاتِ وَفَضَّلْنَاهُـمْ عَلَىٰ كَثِـيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَـا تَفْضِيـلًا) (سورة الإسـراء: الآية 70)، وبتحقق الكرامـة الإنسـانية تتحقـق كل القيـم العليـا مـن الخيـر والجمال والصـدق والعـدل والإخـاء والمسـاواة، ويكـون ثمـرة ذلـك الإبـداع في الحيـاة وعمارتهـا وتحقيـق الخيـر للنـاس جميعـاً.

3. محفزات خطاب الكراهية وأسبابه:

هنـاك عوامـل كثيـرة تصنـع خطـاب الكراهيـة وتجعلـه حاضـراً في السـياق الإنسـاني، وهـذه الأسـباب والمحفـزات متنوعـة وكثيـرة، كلهـا تدفـع بهـذا الخطـاب إلـى الحضـور في المجتمعـات، إذ أن خطـاب الكراهيـة لا ينشـأ مـن فـراغ، وإنمـا لـه أسـبابه وظروفـه المتنوعـة، منهـا ماهـو ذاتـي، ومنهـا ماهـو اجتماعـي، ومنهـا ماهـو تاريخـي ثقـافي، ومنهـا ماهـو نفسـي وغيرهـا مـن المحفـزات لظهـور الخطـاب والتفاعـل معـه، ولعـل مـن أبـرز أسـباب انتشـار خطـاب الكراهيـة مـا يلـي:

أولاً: القراءة المتطرفة للمفاهيم الدينية:

تقـرر الجماعـات المتطرفـة والإرهابيـة التـي تتخـذ مـن الإسـلام سـتاراً لهـا ولأعمالهـا مفاهيـم حـول علاقـة المسـلم بغيـر المسـلم، حيـث تنطلـق مـن رؤيـة تقـوم علـى أن الأصـل في العلاقـة بـين المسـلم وغيـر المسـلم هـي علاقـة حـرب وصـراع وكراهيـة ومفاصلـة دائمـة، وأن هـذه العلاقـة هـي علاقـة أبديـة لا تتبـدل ولا تتغيـر، وأن الأصـل في دمـاء غيـر المسـلمين وأعراضهـم وأموالهـم وبلادهـم الإباحـة والحـرب والقتـل والقتـال، وهـذا المفهـوم المتطـرف لهـذه العلاقـة مـن أكبـر محفـرات خطـاب الكراهيـة وديمومـة العلاقـة المتوتـرة بينهـم وبـين خصومهـم، إذ لا يقتصـر هـذا الأمـر علـى علاقتهـم بغيـر المسـلمين، بـل تمتـد إلـى كل مخالفيهـم حتـى مـن الذيـن يجتمعـون معهـم في ديـن واحـد، إذ ينظـرون إلـى العالـم علـى انـه فسـطاطان لا ثالـث لهمـا: فسـطاط إيمـان لا نفـاق فيـه، وفسـطاط كفـر لا إيمـان فيـه، وهـي القاعـدة التـي قررهـا عـراب التطـرف والإرهـاب المعاصـر أسـامة بـن لادن في خطاباتـه الشـهيرة بعـد أحـداث الحـادي عشـر مـن سـبتمبر، ومـن خـلال ذلـك كان أتبـاع القاعـدة وتفرعاتهـا التـي نشـأت في أحضانهـا مثـل داعـش والجماعـات القتاليـة تقـوم علـى اسـتباحة المخالفـين، وتعميـم خطـاب التكفيـر والكراهيـة والنبـذ في كل مـن لا يشـاكلهم في أفكارهـم وتوجهاتهـم الدينيـة، الأمـر الـذي نتـج عنـه أعمـال إرهابيـة في داخـل العالـم الإسـلامي وخارجـه، ومـا أحدثـت تلـك الخطابـات مـن تـأزيم في عقليـة المنتسـبين إلـى هـذه الجماعـات حتـى وصـل الأمـر بهـم إلـى قتـل أقاربهـم وآبائهـم وأمهاتهـم والقريبـين منهـم فضـلاً عـن البعيديـن عنهـم .

بينمـا نجـد أن الناظـر في نصـوص الكتـاب والسـنة تُقـرر خلاف مـا تقـرره هـذه الجماعـات الإرهابيـة، فهـي تجعـل العلاقـة بـين المسـلم وغيـره علاقـة سـلام وتواصـل وتعـاون لا علاقـة حـرب وقتـال، وأن الأصـل في "دم الآدمـي" أيـاً كان نوعـه وجنسـه ودينـه هـي العصمـة الأصليـة التـي لا يجـوز الخـروج عنهـا إلا لمبـرر شـرعي وقانونـي، وليـس كـون الإنسـان غيـر مسـلم يبيـح التعـدي عليـه بظلـم أو بغـي أو قتـل أو غيـر ذلـك مـن أنـواع الأذيـة، وقـد قـال ابـن تيميـة في تقريـر هـذه القاعـدة العظيمـة: (فـإن الأصـل أن دم الآدمـي معصـوم لا يقتـل إلا بالحـق وليـس

القتل للكفر من الأمر الذي اتفقت عليه الشرائع ولا أوقات الشريعة الواحدة كالقتل قوداً فإنه مما لا تختلف فيه الشرائع ولا العقول. وكان دم الكافر في أول الإسلام معصومًا بالعصمة الأصلية وبمنع الله المؤمنين من قتاله ودماء هؤلاء القوم كدم القبطي الذي قتله موسى وكدم الكافر الذي لم تبلغه الدعوة في زماننا أو أحسن حالاً من ذلك وقد عد موسى ذلك ذنبًا في الدنيا والآخرة مع أن قتله كان خطأ شبه عمد أو خطأ محضاً ولم يكن عمداً محضاً)[8].

ثانياً: التبشير بالصراع الحضاري:

تقوم الأيديولوجيا الصراعية على التأكيد أن مستقبل البشرية ينحو نحو الصراع الحضاري والتنافس الهوياتي بين الشعوب، وهذا يحتم على الجميع - بحسب رأيهم - الانكفاء على الذات وتهيئتها للصراع والصدام الحضاري الذي يهمل فكرة التعايش الإنساني المشترك، بل ويحفز أصحاب الرؤية الصراعية أتباعهم إلى النظر إلى الآخر بعين الكراهية والريبة والتحفز للمواجهة في كل لحظة، مما يهيئ الجو لانتشار خطاب الكراهية وتعزيزه في الأجواء العالمية.

(لقد اصطبغ مفهوم صراع الحضارات منذ بدايته - أي عندما صاغ برنارد لويس- صبغة عنصرية بل وحتى عرقية مفضوحة، تستهدف جنساً بعينه هو الجنس العربي، لأن العرب هم الذين نشروا الإسلام، فهم أصل البلاء، ولكنه لم يلق في البداية آذاناً صاغية نظراً لانشغال المنظومة الرأسمالية العالمية ومفكريها في الستينات بمكافحة الفكر الشيوعي والاشتراكي عموماً، وقد جندت تلك المنظومة في سبيل إنجاح تلك الحرب لأيديولوجية كل الأجهزة الاستخباراتية والإعلامية..)[9].

إن هذه العقلية الصراعية حفزت كل الأصوليات العالمية في كل الدول إلى تحقيق وجودها في المشهد العالمي، وأقنعت أتباعها بأن الصراع حتمي لا مناص منه، ولذا كان تعزيز خطاب الكراهية أحد الأدوات الفاعلة التي تستخدمها كل التيارات الأصولية الشرقية والغربية في تحشيد الأتباع، واستقطاب المستهدفين وتجنيد الشباب في الدخول في هذه التيارات التي تنتظر لحظة اشتعال فتيل الصراع العالمي الذي تبشر به هذه الجماعات وتعد له العدة في كل حين.

ثالثاً: العالم الافتراضي وخطاب الكراهية:

يشكل الفضاء الالكتروني المكان الأمثل لانتشار خطاب الكراهية، لأنه يسمح لجميع أصحاب الأفكار وبسقف عال من الحرية أن يعبروا عن مكنوناتهم ومشاعرهم وأفكارهم حتى ولو كانت في غاية التطرف والعنف، ولذا يجد المتطرفون من كل اتجاه في الشبكة العالمية الوسيلة المثالية لنشر خطاب الكراهية والتطرف والإرهاب، ويتكئ هؤلاء على إتاحة الشبكة العالمية الفرصة المواتية بنشر خطاب التطرف عبر المعرفات المجهولة والموهة التي تسطيع في أحيان كثيرة الإفلات من العقاب أو الملاحقة القانونية عبر استخدام آليات ووسائل تمكنها من الإفلات مع وجود الجهود الكبيرة في محاصرة خطاب التطرف والكراهية والإرهاب داخل الشبكة العنكبوتية.

إن خطورة الشبكة العالمية في نشر خطاب الكراهية يكمن في تنوع فئات المستخدمين وسهولة الوصول إليهم والتأثير في أفكارهم وتوجهاتهم، وخاصة فئة الشباب والشابات الذين يكونون في الغالب وقوداً للجماعات المتطرفة والإرهابية التي ترى في الشباب ميداناً كبيراً للتأثير والاستقطاب، وفي ساعة من غياب الرقيب يقع الشاب والشابة فريسة لهذه الخطابات العدائية التي تحول هؤلاء الشباب إلى قنابل موقوتة تستثمر في تنفيذ مخططات أصحاب الاجندات والأيديولوجيات المتطرفة، فيقعون ضحايا لهؤلاء المتسللين إلى عقولهم عبر استخدام وسائل الجماعات الجماهيرية التي تتنوع أساليبها في التأثير والتحشيد والاستقطاب.

" إن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المجال اللاأخلاقي سوف يؤدي إلى تقويض بنيان المجتمع الدولي، وتهديد أركانه ثم سلمه وأمنه، ناهيك عن الأضرار الناجمة عن ذلك من انتشار خطاب الكراهية في ظل غياب رقابة دولية على الانترنت، وكذلك غياب المعيار الدولي الذي يحدد ماهية خطاب الكراهية، وناهيك عن استخدام الانترنت لفرض السيطرة بين الدول"[10].

وقد "أكدت دراسة أجراها مجموعة من الباحثين الهنود أن المحتوى الذي يتضمن خطاب كراهية ينتشر لمدى أبعد، وعلى نطاق أوسع، وبمعدل أسرع، وله إمكانية وصول أكبر من غيره. ووجدت دراسة أخرى قامت بتحليل 263 مليون مناقشة (على الإنترنت) في كل من المملكة المتحدة والولايات

المتحدة، ما بين عام 2019م ومنتصف عام 2021م أن خطاب الكراهية على الإنترنت قد تزايد بنسبة قدرها 20% أثناء وباء الكوفيد-19. ووجدت أيضًا تزايداً ملحوظًا في معدل خطاب الكراهية على الإنترنت أثناء الأحداث المثيرة للجدل، أو ذات الطبيعة الاستقطابية، مثل مظاهرات حياة السود في الولايات المتحدة في يونيو2020م[11].

لقد سمحت مواقع التواصل الاجتماعي لأصحاب الفكر المتطرف بالحضور المكثف في كافة شبكات التواصل الاجتماعي، وأصبح كل صاحب فكر متطرف يصارع صاحب فكرة متطرفة مضادة، حيث يستهدف كل صاحب فكر استقطاب من يشاكله في الفكر، (فطبيعة الإنسان كما تؤكد نظرية التنافر الفكري لليون سنجر تسعى دائما للتوافق الفكري وتبحث عن كل ما يتوافق مع آرائها ومعتقداتها لتقلل من حالات التنافر التي تحدث مع آي آراء متناقضة)[12].

رابعاً: غياب مبدأ التسامح

ينشأ خطاب الكراهية في الجو الذي يغيب فيه خطاب التسامح والتواصل والحوار، فإذا غاب خطاب التسامح تنشأ على إثره الخطابات العدائية والعنصرية والطائفية التي تمزق المجتمع وتشتت شمله وتحفزه لحالة دائمة من الحرب والعداء والخصام، وقد رأينا عقب أحداث الثورات العربية حين غاب مبدأ التسامح، واحتكم الناس إلى خطاب الكراهية كيف أفرز ذلك مآس كثيرة لا تزال الدول التي طالتها هذه الموجة تعيش آثارها إلى اليوم، حين يحتكم الناس إلى مبدأ القوة لا مبدأ التشارك، ومبدأ العداء لا مبدأ التشاور والتحاور والتواصل الفعال، والتعارف بين الناس الذي هو مبدأ أساسي في التعاليم الإسلامية (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ، واحِدَةٍ، وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (سورة النساء: الآية 1) وقد جاء الخطاب الرباني منادياً الناس كافة وتذكيرهم بأصل خلقتهم، ومن ثم تفرقهم شعوباً وقبائل مختلفة، وأن الكرامة الحقيقة للإنسان هي بقدر بعده وقربه من التقوى والانضباط بقيم الحق والعدل والإيمان .

يعتبر التسامح من المفاهيم المتداولة اليوم التي تستخدم في السياقات الثقافية والاجتماعية والدينية التي تصف مواقف وممارسات واتجاهات تتسم باحترام الآخر ونبذ التطرف والعنف والتسامح مع الآخر المختلف في الفكر والعقيدة والموقف، أي بمعنى آخر: قبول الأخر المختلف سواء في الدين أو العرق أو السياسة أو الثقافة والاعتراف به كند[13].

لقد هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وفيها أمة مختلفة الأديان، من المشركين واليهود وغيرهم، فكان أول ما فعل عليه السلام أن كتب صحيفة المدينة التي هي الميثاق الأسمى للتسامح في التاريخ، قالَ ابْنُ إسْحاقَ: وكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كِتابًا بَيْنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ، وادَعَ فِيهِ يَهُودَ وعاهَدَهُمْ، وأقَرَّهُمْ عَلى دِينِهِمْ وأمْوالِهِمْ، وشَرَطَ لَهُمْ واشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذا كِتابٌ مِن مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ، بَيْنَ المُؤْمِنِينَ والمُسْلِمِينَ مِن قُرَيْشٍ ويَثْرِبَ، ومَن تَبِعَهُمْ، فَلَحِقَ بِهِمْ، وجاهَدَ مَعَهُمْ، إنَّهُمْ أُمَّةٌ واحِدَةٌ مِن دُونِ النّاسِ، المُهاجِرُونَ مِن قُرَيْشٍ على ربعتهم يتعاقلون، بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو عوف عَلى رِبْعَتِهِمْ يَتَعاقَلُونَ مَعاقِلَهُمُ الأُولى، كُلّ طائِفَةٍ تَفْدِي عانِيَها بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وبَنُو ساعِدَةَ عَلى رِبْعَتِهِمْ يَتَعاقَلُونَ مَعاقِلَهُمُ الأُولى، وكُلّ طائِفَةٍ مِنهُمْ تَفْدِي عانِيَها بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ بَيْنَ المؤمنين[14].

لقد كانت هذه الوثيقة النبوية تشق منهجاً للناس في أهمية الاتفاق على المشتركات والتعاقد على السلم الاجتماعي والتسامح، ولذا كانت أعلى سمة من سمات التسامح النبوي عدم إكراه الناس على الدين، امتثالاً لقول الله تعالى: (لاإِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (سورة البقرة: الآية 256) ولذا يقول ابن القيم الجوزية رحمه الله: (ومن تأمل سيرة النبي ﷺ تبين له أنه لم يكره أحدًا على دينه قط، وأنه إنما قاتل من قاتله، وأما من هادنه فلم يقاتله ما دام مقيمًا على هدنته لم ينقض عهده... وكذلك لما هادن قريشًا عشر سنين لم يبداؤهم بقتال حتى بدؤواهم بقتاله، ونقضوا عهده، فعند ذلك غزاهم في ديارهم، وكانواهم

يغزونه قبل ذلك كما قصدوه يوم أحد ويوم الخندق، ويوم بدر أيضًا هم جاؤوا لقتاله ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم، والمقصود: أنه - ﷺ - لم يكره أحدًا على الدخول في دينه البتة، وإنما دخل الناس في دينه اختيارًا وطوعًا)[15]

إن التسامح ليس ترفاً فكرياً بقدر ما هو شرط أساسي لخلق مجتمع منفتح يؤمن بالتعددية، ويحترم الآخر، وينظر إلى الاختلاف كعامل إغناء للحوار وليس كخطر على الهوية.. إن حدود التسامح تبدأ عندما يكون القانون قوياً ومحترماً ومطبقاً، ويكون الأفراد متحررين من هاجس الخوف والقهر والاستغلال[16].

خامساً: الاستعلاء العنصري والنظرة الفوقية:

إن من المحفزات الكبيرة والعوامل المؤثرة في انتشار خطاب الكراهية هو الاعتقاد بأن جماعةً أو عرقاً هي المتفوقة على غيرها والأعلى منزلة في سلم التاريخ الإنساني، وهي ما يسمى في الأوساط العالمية بمجموعات الكراهية أو تفوق العرق الأبيض الذي نشأت منه الأفكار النازية التي ترى أنها في سلم تطوري راق يختلف عن بقية أجناس البشر، وهذه النظرة الفوقية الاستعلائية هي التي تفرز حالة الكراهية والازدراء لكل مختلف عنها في الجنس، بل وتعتقد واهمة بأن التمييز بينها وبين غيرها من البشر هو حق طبيعي فرضته الطبيعة، وهو بالنهاية يؤدي إلى الاحتقار والعداء والتحفز للقضاء على المخالف وإباحة التعسف ضده دون أي قيد أخلاقي رادع .

تنتشر المجموعات الكارهة في الشبكة العالمية بشكل موسع، وتستخدم الشبكة في تعميم خطاباتها وتبريره باعتباره حقاً أصيلاً لها، وهي تمارس هذا السلوك ضد المختلف لها سواء كان دينياً أو عرقياً، ومن أبرز ذلك العنصرية ضد أصحاب البشرة السوداء الذين يعانون في كثير من الدول من تمييز عنصري وإقصاء وتهميش يجعلهم في رتبة اجتماعية دونية بسبب النظرة الاستعلائية والعرقية.

سادساً: التعصب:

تشكل ظاهرة العنف والعدوان والتعصب منظومة من التحديات التاريخية التي تواجه المجتمعات الإنسانية والعقل الإنساني في العصر الحديث، وتشهد الحياة السياسية والاجتماعية العالمية اليوم موجات رهيبة من التعصب بمختلف تجلياته السياسية والاجتماعية والثقافية، ولا يكاد المشهد الاجتماعي والثقافي العربي يخلو من صور محزنة لواقع التعصب والعنف الذي يتأجج لهيبه في عمق الحياة سياسياً ودينياً واجتماعياً[17].

إن التعصب سواء كان لمذهب أو حزب أو تيار أيديولوجي، والمبالغة الولائية التي تخرجه عن الوضع الطبيعي المعتدل يعد سبيلاً مؤاتياً لانتشار خطاب الكراهية والعدوان، وقد شهد التاريخ الإنساني صنوفاً من الحروب والقلاقل والمشكلات الضخمة التي راح ضحيتها أبرياء كثر بسبب التعصبات القبلية والفئوية والمذهبية والطائفية والعرقية، إذ يعمى على عين المتعصب فلا يرى في الوجود إلا نفسه ومن ينتسب إليه، محتكراً الحق والحقيقة في نفسه ومن حوله دون سواه، ناظراً إلى كل مخالف بازدراء وفوقية، وحينئذ تشتعل الحروب الشاكية بين المتعصبين بلا عقل رادع ولا ضمير مانع.

ومن صور التعصب التي لا تزال، التعصب الفقهي المذهبي الذي يُحدث بين الناس القطيعة والكراهية والبغضاء، وإن كانت في التاريخ أشد منها في الواقع اليوم، فقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أحداث مدينة الري حين مروره بها سنة 617هـ فقال : "وكان أهل المدينة ثلاث طوائف: شافعية وهم الأقل، وحنفية وهم الأكثر، وشيعة وهم السواد الأعظم، فوقعت العصبية بين السنة والشيعة، فتظافر عليهم الحنفية والشافعية، وتطاولت بينهم الحروب حتى لم يتركوا من الشيعة من يُعرَف، فلما أفنوهم وقعت العصبية بين الحنفية والشافعية، ووقعت بينهم حروب، كان الظفر في جميعها للشافعية، هذا مع قلة عدد الشافعيين. وكان أهل الرسْتاق –وهم حنفية– يجيئون إلى البلد بالسلاح الشاك، ويساعدون أهل نحلتهم، فلم يغنهم ذلك شيئاً حتى أفنوهم، ولم يبق من الشيعة والحنفية إلا من يخفي مذهبه، ووجدتُ دورهم كلها مبنية تحت الأرض، ودروبهم التي يسلك بها إلى دورهم في غاية الظلمة وصعوبة المسلك، ولولا ذلك لما بقي بها أحد"[18].

وقد أجاد الأدب العربي الجاهلي في وصف مفهوم التعصب واستجلاء جوانبه الاجتماعية، وبرز هذا التصوير الجميل **في قول القائل:**

وما أنا إلا من غزية إن غوت

غويت وإن ترشد غزية أرشد

فالتعصب يأخذ صورة عقدية ودينية أو سياسية متطرفة تتميز بدرجة عالية من الانغلاق والتصلب، حيث تحتل إرادة التغلب إرادة الإقناع، ولقد ظهر هذا المفهوم مع مفاهيم التعددية السياسية وترافق مع مفهوم التسامح الذي يتعارض مع مفهوم التعصب[19].

ويعد مفهوم التعصب من المفاهيم المركبة المنتشرة بقوة في أدبيات العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهناك أشكال مختلفة ومتباينة من التعصب، منها التعصب العرقي، والتعصب الثقافي، والتعصب الديني، والتعصب الطائفي، وكان المتعصبين قديماً يطلق على كنهة الآلهة الذين كان من عاداتهم أن يعتريهم هذيان من نوع خاص، ولا سيما حين يطعنون أجسامهم بالمدية حتى يسيل منها الدم[20].

ويمكن أن تسهم عدة عناصر في تشكيل مشاعر التعصب، وتشمل هذه العناصر التنافس، والأفكار الدينية، والخوف من الغرباء، والتشدد في القومية، وقد ينشأ التعصب عندما تخشى مجموعة ما أن يحرمها تنافس مجموعة أخرى من الهيبة والمزايا والقوة السياسية، أو الفرص مصحوبة بسوء طوية عميقة وحقد شديدين تجاههم، وتعرف الشخصيات بأنها شخصيات تعصبية سلطوية وتتميز بأنها كارهة للآخر، وغير مؤمنة بالقدر، وذات رؤية كونية عنيفة وعدوانية، وليس لديها خيال، وتصورها للسلطة مثالي وفكرها متجمد[21].

لقد شكلت مفاهيم الدين الراسخة التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم غاية الرفض لفكرة التعصب، فهو وإن كان يرى أنه مرسل من عند الله، وأنه يملك الحق المطلق الذي لا شك فيه ولا ريب، ولكن نداءات القرآن كانت نداءات رحمة للناس دون إكراه أو بغي (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)، (سورة الكهف: الآية :26)، (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا)، (سورة الكهف: الآية 6) (لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) (سورة الغاشية: الآية 22)، (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)، (سورة يونس: الآية 22) مما يدل على أن مهمته عليه السلام كانت مهمة إبلاغ لا إكراه، ورحمة وهداية لا تعسف ولا تعصب، (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ)، (سورة الشورى: الآية48) وهكذا سار على هذا المنهج خلفاؤه الراشدون، وأئمة الدين على مدار التاريخ، فكلهم تضافرت أقوالهم على ترك التعصب لمذاهبهم، والركون إلى الحق حتى لو خالف اجتهاداتهم، ولكن التعصب إنما ينشأ من الأتباع الذين يشايعون مذاهبهم، ويفاصلون الناس باختياراتهم حتى تنشأ الفتن والصراعات المذهبية متناسين الأسس التي قامت عليها مذاهبهم من السماحة واحترام الخلاف وعدم التشدد والنكير على من يخالفهم في مسائل العلم والعمل.

سابعاً: الغيرة

للعامل النفسي أثر كبير على سلوكه وتعاطيه مع الآخرين، فالعوامل النفسية تتحكم كثيراً في طبيعة تعامل الإنسان مع الآخرين، ولعل الغيرة أحد تلك العوامل التي تفرز خطاب الكراهية للآخرين، وخاصة حين يرى الإنسان محدود القدرات، أو لم يوفق في مكانة اجتماعية يسعى لها، أو لم يحصل الثروة التي يطمح لها، فينعكس ذلك على سلوكه مع الآخرين بالتعدي والكراهية والغيرة.

وقد "حاول العديد من الباحثين والمتخصصين الوقوف على أبرز الاسباب ووجدوا أن أهم الاسباب هو الغيرة، وقد لا تكون الغيرة هنا بالمرضية ولكن البعض يشعر بعدم ارتياح وارتباك من أي شخص يتفوق عليه شهرةً أو فكراً او علماً او معرفةً وهذا يدفع الأشخاص للكتابة بطريقة سلبية مليئة بالكراهية بدافع الغيرة ولذلك نجد الكثير من التعليقات السلبية والسب والشتام وكل ما يندرج تحت خطاب الكراهية في حسابات الفنانين والمشاهير والمؤثرين في مواقع التواصل الاجتماعي فما أن يقوم أحدهم بنشر صورة شخصية إلا وتنهال التعليقات المسيئة والتجريح الشخصي والتطاول الذي يصل أحيانا إلى أفراد أسرته"[22].

ثامناً: العامل الأيديولوجي:

تحمل الأيديولوجيا الفكرية والحركية أو السياسية سواء كانت دينية أو وضعية مجالاً كبيراً محملاً بخطاب الكراهية للآخرين بناء على أن الأيديولوجيا في غالبها تقوم على الخلوصية

الفكرية والنقائية سواء كانت حركية أو حزبية أوطائفية، فهي تقوم على تقديس الذات ونفي الآخر بشكل مباشر.

ولأن الأيديولوجيا تعيش على الاستقطاب للأتباع، فهي تربي أتباعها على الولاء المطلق للإطار الخاص بعنف وشراسة، والبراءة من المخالف وعداوته بسبب مخالفته للأيديولوجيا الخاصة، ولذلك تسهم هذه الأيديولوجيات في انتشار خطاب الكراهية بشكل مباشر سواء في مقرراتها الأدبية والفكرية، أو في تعاطيها مع المشهد الإعلامي والثقافي والسياسي، وتظهر آثار هذا الخطاب في وسائل التواصل الاجتماعي على سبيل التحديد لأنه المجال المثالي للترويج للأفكار، وإشعال فتيل الخلافات، وتعميم خطاب الكراهية للمخالف، والاستقطابات الحادة، وربما استخدمت الأيديولوجيات بأنواعها خطاب الكراهية للاغتيال المعنوي للخصوم، وترسيخ مبدأ الولاء للإطار بنفي الآخر والتشنيع عليه.

4. آثار خطاب الكراهية:

مما لا شك فيه أن لخطاب الكراهية آثار كبيرة على المستوى الفردي والجماعي، وعلى مستوى الأمن والسلم الاجتماعي للدول، وقد تكون هذه الآثار نفسية وقد تكون عملية، وهي آثار متنوعة الخطورة، إذ يعزز خطاب الكراهية الأمن النفسي والاجتماعي للأفراد، ويقوض حق الأفراد بالاختلاف والوجود، ولعل من أبرز آثار خطاب الكراهية ما يلي:

أولاً: خطاب الكراهية يقوض مبدأ التعايش السلمي:

من أهم ما تسعى إليه المجتمعات هو العيش السلمي والمشترك الذي يضفي على المجتمع الأمن والسلام والتراحم والتعاون بعيداً عن أي منكدات تؤثر على تماسك المجتمع وسلمه، بل يؤدي خطاب الكراهية إلى تحفيز العداوات والبغضاء بين أبناء المجتمع الواحد، مما يكلف المجتمع والدولة تكاليف كثيرة أمنية وسياسية واقتصادية وأمنية، إذاً "يعد خطاب الكراهية من أكبر المخاطر على السلم الاجتماعي، ويسبب الانقسام داخل المجتمع ويصل إلى حد الاقتتال بين أبنائه، وفي السنوات القليلة الماضية مع انتشار وسائل الإعلام بمختلف أنواعها ومع ضعف الخطاب الإعلامي الهادف أصبحت بعض هذه الوسائل الإعلامية تتبارى فيما بينها في نشر خطاب الكراهية بين أفراد المجتمع الواحد عبر نشر الأكاذيب والشائعات وتشويه دول وقبائل وتجمعات وفئات بعينها، والعمل على ضرب النسيج الاجتماعي ونشر الكراهية والبغضاء[23]".

ثانياً: الأذى النفسي والجسدي الناتج عن خطاب الكراهية:

الأشخاص الذين يواجهون الخطابات المتنوعة من الكراهية اللفظية والإيحائية والإشارية يعانون من ضغوطات نفسية قد تتحول إلى أمراض مزمنة نفسية وجسدية، إذ يقع هؤلاء الأشخاص تحت طائلة العنصرية والتنمر والتمييز الذي يفرز تشوهات في النفس والبدن .

"ومن الأمور الأكثر إثارة للدهشة هو توصل الخبراء أن أولئك الذين يمارسون التعصب والكراهية معرضون للخطر أيضاً، فعلى سبيل المثال تم التوصل إلى نتائج بحث أجراه عالم النفس" جوردان ب. لابتر ارتباطاً بين التحيز العنصري الواضح بين البيض ومعدلات الوفاة المرتبطة بأمراض الدورة الدموية، يشير التحيز الصريح إلى التحيز الواعي الذي يتم التعبير عنه صراحة في بعض الأحيان، أما التحيز الضمني هو اللاواعي ويتم اكتشافه بشكل غير مباشر.. في الواقع تشير بيانات "لابتر" إلى أن العيش في مجتمع معاد عنصرياً مرتبط بزيادة معدلات الوفاة بأمراض القلب والأوعية الدموية لكل من المجموعة المستهدفة من قبل هذا التحيز – مثل حالة السود – وكذلك المجموعة التي تؤدي إلى التحيز.

وفي مجلة العلوم النفسية أشار "لابتر" وزملاؤه في جامعة كاليفورنيا أن معدلات الوفيات الناجمة عن أمراض الدورة الدموية تكون أكبر انتشاراً في المجتمعات التي يكون فيها البيض أكثر تحيزاً وبشكل واضح، أظهر كل من السود والبيض معدلات وفيات متزايدة، لكن العلاقة كانت أقوى بالنسبة للسود، وعلى الرغم من أن الارتباط لا يثبت السببية فقد افترض أستاذ علم النفس الإكلينيكي "فيكي ميس "وزملاؤه في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس أن تجربة التمييز على أساس العرق قد تُؤدِي إلى سلسلة من الأحداث الفيسيولوجية مثل ارتفاع ضغط الدم، ومعدلات ضربات القلب والتي تزيد في النهاية من خطر الموت" [24].

وقد يصل خطاب الكراهية إلى أن يفقد المستهدفون فيه

أرواحهم، ويذهبون ضحية لخطاب الكراهية فتُفقد الأرواح وتُسفك الدماء، حيث بلغ العدد الإجمالي لضحايا جرائم الكراهية وفقاً لبعض أشكال التحيز، ومتوسط عدد الضحايا لكل جريمة في عام 2019م وفقاً لمكتب منظمة الأمن والتعاون في أوروبا مؤسسات الديمقراطية وحقوق الإنسان ODIHR حسب الجدول التالي[25]:

التصنيف	إجمالي الضحايا	متوسط عدد الضحايا لكل هجوم عنيف	متوسط عدد الضحايا لكل تهديد
العنصرية وكره الأجانب	1550	2.03	1.85
التحيز ضد المسلمين	558	1.51	2.60
التحيز ضد المسحيين	268	1.59	2.58
معاداة السامية	208	1.48	1.3
التحيز على أساس الجنس	136	1.98	2.36
التحيز ضد ذوي الإعاقة	21	1.6	2.0

ثالثاً: التعدي على المقدسات وإشعال فتيل الصراعات:

من الآثار المدمرة التي ينتجها خطاب الكراهية تجرئة المتطرفين على التعدي على مقدسات الآخرين، وإهانتها وإذلالها وخاصة تلك المقدسات التي يعظمها ملايين بل مليارات من الناس، وهذا مؤذن بنشوب الصراعات، وتحفيز أهل التطرف والإرهاب إلى تنفيذ مخططات إرهابية قد تطالب الأبرياء من الناس، وقد وجه الله في القرآن تحريم سب آلهة الآخرين حتى لا يسب الله عدواً بغير علم، فقال تعالى: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (سورة الأنعام: الآية 108)، فمع الحكم على ضلال ما يعتقدون إلا أن الله في القرآن نهى عن سب آلهتهم لما يترتب على ذلك من مفاسد كبيرة ومن أعظمها سب الله تعالى .

ومن أبرز الحركات العنصرية المحرضة على الكراهية والعنف ما يحدث في بعض البلاد الغربية من تصرفات المتطرفين من الإقدام على حرق المصحف الشريف مع تغطية الإعلام لهذه الجرائم المحرضة على الكراهية والعنف، ومن آخرها ما حصل من حرق المصحف الشريف في دولة السويد. "ففي أغسطس 2020م، اندلعت احتجاجات عنيفة بعد أن أجج فعل مماثل غضب المسلمين في أنحاء السويد، ما دفع محكمة سويدية إلى منع بالودان من دخول البلاد عامين، فيما اندلعت في أوسلو بالنرويج اشتباكات بين متظاهرين من اليمين المتطرف وآخرين مناهضين لخطاب الكراهية والعنصرية. وخلال العام ذاته، أحبطت دول أوروبية عدة خطط قادها الزعيم اليميني المتطرف لحرق نسخ من المصحف.

وتكررت هذه الحوادث، التي لا تقتصر على المكان أو الكتاب، وباتت تحظى بانتشار أوسع في ظل التطور التكنولوجي والإنترنت. ففي الولايات المتحدة، هدد القس المتطرف تيري جونز، عام 2010م، بحرق نسخة من القرآن، تزامناً مع ذكرى هجمات الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) 2001م التي شنها تنظيم "القاعدة" الإرهابي على الولايات المتحدة. وبين الحين والآخر، تقع حوادث حرق نسخ من الإنجيل من قبل بعض التيارات السياسية كنوع من الاحتجاج أو لإثارة غضب المحافظين.

كما أحرق زوجان من المثليين نسخة من الكتاب المقدس لإغاظة مجموعة من المسيحيين المحافظين في ولاية تينيسي الأميركية، وفي 2020م خلال احتجاجات "حياة السود تهم"، برز مقطع فيديو لمجموعة متظاهرين في مدينة بورتلاند بولاية أوريغون الأميركية، يحرقون نسخاً من الإنجيل" [26].

حين تقع هذه الحوادث في الغرب مثل حرق المصحف في السويد الذي وقع بعد أخذ الإذن من الحكومة السويدية بهذا الفعل الشنيع الذي أغضب مئات الملايين من المسلمين في مشارق الأرض مغاربها، بل وأغضب العقلاء التواصليين من غير المسلمين، فإن كثيراً من الناس يتعامل مع الحدث بعيداً عن سياقه التاريخي والذي أفرز هذه الظواهر في الغرب، ولذا يكون فهم الحالة فهماً منقوصاً في تلمس سبب الظاهرة ومحركها الحقيقي الذي يجعلنا نفهم الحدث ونتصور حقيقته الطبيعية.

إن مثل هذه الحوادث لا تنشأ من دون سبب، بل هناك المحركات الخفية التي تسبب الظهور وتسعى في تصعيده يوماً بعد يوم في سياق رؤية صراعية يقوم فيها أشخاص كثيرون حول العالم يبشرون بحالة الصراع، ومحاولة إشعال فتيل الصراع العنصري والفئوي، وترسيخ فكرة فوبيا الغرباء

والتعدي عليهم حفاظاً على القيم الاجتماعية -بزعمهم- وهذا بلا شك يخالف المواثيق الدولية، والقيم الأخلاقية، وانتهاكاً للمقررات التي تسعى بعض الدول الغربية لترويجها والدعوة إليها وتعميمها على الناس، في نفس الوقت الذي ترعى بعض الحكومات والتوجهات السياسية اليمينية المتطرفة خطاب الكراهية تجاه الغرباء، وقد نال المسلمون المقيمون في الغرب والسود الحظ الأوفر من خطاب الكراهية الذي أوصل متطرفي هذه الجماعات اليمينية إلى استفزاز مشاعر المسلمين بالتعدي على أقدس مقدساتهم وهو كتاب الله الكريم، وهذا بلا شك سوف يفرز ردود أفعال غير محمودة العواقب، وإشعال فتيل الصراع، وتهيئة العقلية الإرهابية والمتطرفة لأن توجد لنفسها المبررات لفعل الأعمال الإرهابية الشنيعة التي تستهدف الأبرياء الذين لا ناقة لهم في هذا الصراع ولا جمل .

5. كيفية مواجهة خطاب الكراهية؟

فيما مضى تبين أن خطاب الكراهية خطاب مدمر وخطير على السلم والأمن الاجتماعي والفكري، وينعكس سلباً على جودة الحياة والعلاقة مع الآخرين أياً كان مصدر هذا الخطاب أو خلفيته الأيديولوجية أو الدينية أو الفكرية، وهو يحفز المشاعر إلى حالة العداء والخصام الذي يفضي إلى الفتن والمشكلات السياسية والاجتماعية، ولذلك لا بد من أن يتداعى الجميع إلى إيجاد الحلول لمعالجة خطاب الكراهية ومواجهته، وأن تتنوع الأساليب والوسائل التي تحد من خطاب الكراهية وتواجهه على المستوى التربوي والإعلامي والسياسي والفكري والتعليمي من خلال برامج ومشروعات يشترك فيها الجميع لمواجهة هذا الداء ومعالجته على جميع المستويات، ولعل من أهم ما يمكن ذكره في معالجة هذا الخطاب الآتي:

أولا: المعالجة القانونية:

للحد من خطاب الكراهية لابد من الوقوف عند التشريعات والقوانين التي تمنع مثل هذا النوع من الخطاب في المجتمعات والذي يهدد الامن القومي وترابط المجتمعات. فمثلا في الولايات المتحدة وتحت المادة الاولى من الدستور فان خطاب الكراهية ومهما بلغت حدته مكفول تحت بند حرية التعبير إلا أن ومن المهم الإشارة إليه أنه إذا اشتمل خطاب الكراهية على تهديد صريح وواضح موجه إلى شخص أو جماعة أو جهة، فان ذلك يتوقف من كونه خطاب كراهية ويتحول الى جريمة. أما في المملكة المتحدة فهناك نص قانوني صريح يجرم خطاب الكراهية والعنصرية[27]

ولعل من الإشكاليات الكبرى في معالجة خطاب الكراهية هي الارتباط الوثيق والدقيق بين خطاب الكراهية وبين حرية التعبير، وهو الأمر الذي يتداخل فيه المفهومان حين يستغل المتطرف والمحرض حرية التعبير في تمرير خطاب الكراهية، ولذلك ربطوا الأمر في تجريمه حين يتحول إلى جريمة، دون إدراك إلى أثر الخطاب في التصعيد الفكري الذي يجعل مجرد التعبير هو جريمة بذاته سواء تحول إلى جريمة أم لا، ولذلك تجد أن بعض الدول التي توسع من فكرة حرية التعبير الإغضاء عن خطاب الكراهية والاستعداء والتكفير وخاصة حين يستغل المتطرفون ذلك الجو الديمقراطي في تمرير رسائلهم المفخخة عبر وسائل الإعلام وغيرها اتكاء على حرية التعبير، ولذلك أسهم هؤلاء في تصعيد خطاب العنف والتكفير والكراهية تجاه دول أو مجتمعات وتحريض الشباب على سلوك طرق الإرهاب والتطرف والعنف.

إن الأثر القانوني فعال في محاربة أي ظاهرة سواء كانت فكرية أو عملية، والضبط القانوني الذي يجرم خطاب الكراهية وخاصة ذلك الخطاب الذي يحرض على العنف أو التعدي على الآخرين بقتلهم أو إيذائهم أو إنهاكهم النفسي أو العقلي، أو التمييز للآخرين على أساس الجنس أو العرق أو البلد أو الطائفة، ومحاولة إسقاطه وإذلاله سواء كان ذلك متوجه إلى جماعة أو جهة أو أفراد أو كيانات، وما يترتب على ذلك من تحول الخطاب إلى سلوك إجرامي يهدد الأمن الاجتماعي وسلامة الناس.

ولذلك فإن سن القوانين الواضحة التي تحدد أولاً المقصود بخطاب الكراهية بتعريف جامع مانع، ووضع محدداته الدقيقة التي تجعل الأمر مضبوطاً، وصياغته في مواد واضحة متنوعة العقوبات هو سبيل نافع للحد من خطاب الكراهية ومواجهته.

ثانياً: تعزيز خطاب الاعتدال والوسطية:

سبق أن ذكرنا بأن التطرف الديني والغلو في حمل المفاهيم الشرعية هو من أكبر مسببات خطاب الكراهية، لأن الغلو والتطرف الديني يحمل بعداً وجدانياً محفزاً لاستعداء

الآخرين ومفاصلتهم بل والتعدي عليهم بالتكفير والقتل والتفجير والعنف، إذ يفهم المتطرف الخطاب الديني فهماً خاصاً ويوظفه توظيفاً فكرياً وسياسياً لتمرير خطابه على الآخرين، وخاصة أولئك الذين ينساقون خلف من يحمل الخطاب الديني دون التمييز بين الخطاب المعتدل والخطاب المتطرف، ولذا وجد دعاة العنف والتطرف والكراهية في الشباب والشابات المادة الملائمة لاستقطابهم إلى تياراتهم وأحزابهم وجماعاتهم.

إن تعزيز خطاب الاعتدال الذي يقوم على التسامح، والعدل، والخير والسلام، والتواصل والحوار، وتربية النشء على التفكير الناقد في فهم المفاهيم الدينية، وعدم تسليم العقل لكل متحدث باسم الدين، وعدم الوثوقية في حمل المفاهيم والقطع بكل فكرة يسمعها الإنسان، والتمييز بين مجالات القطع واليقين، ومجالات الظن والاختلاف، وتقدير الخلاف في المسائل الشرعية والفقهية، وعدم التعصب الفقهي للأقوال والأفكار والأشخاص هو السبيل لكسر حدة خطاب الكراهية في المفاهيم الدينية.

إن دور العلماء والإعلام في بث خطاب السماحة والتسامح والعدل والوسطية أحوج ما يحتاج إليه الناس في هذا الوقت الذي تتنوع فيه الخطابات التي تعيد وهج الغلو والتطرف بكل أنواعه حماية للجيل من غوائل الأفكار التي تؤدي بهم إلى مستنقعات الخطابات المضرة بكل أنواعها.

" إن منظومة قيم التسامح الديني تحفظ للإنسان الكليات الأساسية التي لا تستمر الحياة بدونها، ويستوي في هذا المسلم وغير المسلم، فهي حقوق معصومة لا تنتهك إلا بسبب شرعي، إذ لا يعني التسامح الذوبان في الآخر، ولا استبدال الهوية أو تبنياً لثقافة الآخرين، وإنما هو اعتراف بحق الآخر في الحياة بنمطه الذي يريد ودينه الذي يدين به .." [28] .

إن ترسيخ قيم التسامح الديني والإنساني في المجتمعات يجب أن ينطلق من هذه المنطلقات الثلاثة:

أولاً: تقديم الرؤية الحقيقية لقيم الإسلام عامة وقيم التسامح خاصة.

ثانياً: تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى الآخر حول رسالة الإسلام وأخلاقه وقيمه في التعامل مع الأديان المختلفة والشعوب المتعددة ومع الإنسانية جمعاء.

ثالثاً: العمل المشترك بين البشرية جمعاء في تعميم قيم الحق والخير والعدل والتسامح وكل ما فيه خير للبشرية كلها ومن ذلك مواجهة خطاب الكراهية والتمييز[29] .

ثالثاً: المساهمة الفاعلة في مواقع التواصل الاجتماعي:

تشكل وسائل التواصل الاجتماعي المرتع الخصب لخطابات التطرف والكراهية بكل أنواعها وأصنافها، ويرتبط بها عموم الناس ارتباطاً وثيقاً بحيث أصبحت تشكل وعي المجتمعات وصياغة وعيهم وأفكارهم، ولذلك فإن المساهمة في هذه المواقع عبر منهجيات علمية وإعلامية ستسهم يقيناً في محاصرة خطاب الكراهية والتقليل من آثاره الضارة.

إن جماعات العنف والإرهاب تجد في مواقع التواصل الاجتماعي مجالاً مثالياً لنشر أفكارها وتوجهاتها، وعليه فإن مواجهتهم في معقلهم المثالي أمر مهم عبر محاصرة الأفكار أمنياً وفكرياً وعلمياً، وقيام أهل الاعتدال والوسطية في مواجهة هذه الأفكار عبر الحوار الواعي، وبث رسائل التسامح والوسطية والاعتدال.

رابعاً: الحوار الفعال في مواجهة خطاب الكراهية:

من الميزات التي يفرزها الحوار والتواصل الحضاري هو كسر حدة الأفكار المتطرفة، إذ يوفر الحوار الجو المناسب لنقض وتفنيد الأفكار، وكذلك تنويع زوايا النظر في مختلف القضايا في ذهن أصحاب العنف والتطرف، وهو بهذا يسهم في كسر حدة الغلو، ونزع فتيل الأفكار من العقول، فإن من المقرر في علم النفس المعرفي أن كل سلوك خاطئ يتولد من فكرة خاطئة، ولذا فإن معالجة الأفكار تسهم في معالجة السلوكيات الخاطئة، وتؤدي إلى نظرة الاعتدال في التصورات والأفكار.

"يشكل الحوار بين أتباع الأديان أو الثقافات أداة مهمة لمنع خطاب الكراهية والتحريض على العنف، وأكبر مساعد للمجتمعات على التفاعل مع الآخر وفهمه. إذ تجري عملية الحوار عندما يسعى أشخاص من خلفيات دينية وثقافية مختلفة إلى تحقيق التفاهم والاحترام المتبادلين، مما يسمح لنا بالتعايش السلمي على الرغم من اختلافاتنا. ويسهم الحوار بين أتباع الأديان والثقافات في نقلة نوعية من مرحلة كسب الجدال والتحكم بالنتائج، إلى مرحلة اتخاذ القرارات الجماعية والشاملة من أجل تحقيق المصلحة العامة المستدامة[30]"

المراجع:

1- مختار الصحاح للجوهري، 2247
2- (انظر مقال: خطاب الكراهية والسّؤال المؤلم– مقاربة فلسفية (ج.ل أوستن – أنموذجًا) – أنطونيوس نادر) https://mana.net
3- مقابلة حول مكافحة خطاب الكراهية مع المستشار الخاص بمنع الإبادة، الأمم المتحدة، 2019م، https://waps.ohchr.org/ar/stories/2019/09/interview-special-advisor-genocide-adama-dieng-hate-speech
4- أنظر: سبل مواجهة خطاب الكراهية، خيرية العمري، ص 13.
5- (مدونة سلوك الاتحاد الأوروبي مكافحة خطاب الكراهية على الانترنت).
6- أنظر: بحث أثر خطاب الكراهية على السلم والأمن الدوليين، د.عاطف عبدالله، ص 42.
7- البداية والنهاية - ج 2 ص 355
8- (الصارم المسلول 2/210).
9- (أنظر : زمن هنتغتن صدام الحضارات ونهاية التاريخ، محمد الغربي بن عزوز ص 27 بتصرف يسير)
10- (أثر خطاب الكراهية على السلم والأمن الدوليين، د. عاطف عبدالله، ص 295) .
11- (مدخل لمناهضة خطاب الكراهية، مقال على الشبكة العالمية) https://masaar.net/ar
12- (أنظر خطاب الكراهية في الفيس بوك في الأردن دراسة مسحية، رسالة ماجستير، ناصر الرحابنة ص 22) .
13- (سسيولوجيا العنف، إبراهيم الحيدري، ص 271)
14- (الروض الأنف للسهيلي 4/ 240) .
15- (ابن القيم هداية الحيارى 1/12) .
16- (أنظر : سيسولوجيا العنف والإرهاب، إبراهيم الحيدري ص 274) .
17- أنظر التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في العالم العربي، علي أسعد وطفة ص 7.
18- معجم البلدان، ياقوت الحموي 3/117
19- التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في العالم العربي، مرجع سابق ص 28.
20- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، الجزء الأول
21- (التربية إزاء تحديات التعصب، مرجع سابق ص 29) .
22- (دراسة للدكتورة فاطمة السالم: خطاب الكراهية.. أزمة أخلاقية)https://www.alqabas.com/article/6567
23- (مقال خطاب الكراهية في وسائل الإعلام وتأثيره على المجتمع على الشبكة العالمية 2019 عبر الموقع : https://beirut-s.com/opinion
24- أنظر مقال: خطاب الكراهية لغة الاستعباد والتهميش على الشبكة العالمية، https://www.feedo.net/Society/Socialllls/Crime/HateSpeech.htm (مقال نيران الفتنة، صحيفة الاندبندت في الشبكة العالمية https://www.independentarabia.com/node/325111
25- (نقلًا عن سبل مواجهة خطاب الكراهية، إعداد خيرية العمري ص 28) .
26- (مقال نيران الفتنة، صحيفة الاندبندت في الشبكة العالمية https://www.independentarabia.com/node/325111
27- (مقال خطاب الكراهية أزمة أخلاقية مرجع سابق) .
28- بحث قيم التسامح الديني، دكتوررشيد كهوس، ص 554.
29- المرجع السابق بتصرف.
30- (مكافحة خطاب الكراهية، منشور من كاسيدا).